السنة الرابعة/ العدد 69/ 15 تشرين الثاني 2017

sayı 69

الحرمل

Her Daim Özgürlük

الحريـــة دائمـــاً

WWW.ALHARMAL.COM

Alharmal Dergisi | Kültür - Siyasi - 15 günde bir | ★ ★ ★ | مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

إعادة إعمار الرقة في مهب الريح..

هل انتصر الأسد وأعوانه..؟!

مع ارتفاع حدة المعارك والاشتباكات، وارتفاع وتيرة القصف الجوي والمدفعي الذي طال مدينة الرقة وضواحيها، وأدت إلى عشرات المجازر الوحشية في صفوف المدنيين العزل، وانتقال المعارك والاشتباكات إلى محيط مدينة دير الزور، وانتهاء معركة الرقة، وإعلان النصر وسط هذا الدمار غير المسبوق، الذي بشر به الأطراف المتحاربون وأنصارهم، ومباشرة أنصار النظام بإعلان انتصارات وهمية لقوات النظام في مناطق مختلفة من سوريا، آخرها توسعها بمناطق الشامية من محافظة دير الزور، والتي أرادت سحب البساط من تحت أقدام قوات سورية الديمقراطية المدعومة من أمريكا، رغم ما يتعرض له النظام من انتقادات وتجريح بمصداقيته، وتطاول عليه في محافل الأمم، واجتماعات ساسة الدول.

يعمل النظام بأجهزته الإعلامية، وقطيع شبيحته على تعويم مقولة انتصار الأسد، ويتناسون أن انتصاره المزعوم كان على الشعب السوري الأعزل، فليس غريباً أن تنتصر طائرات بصواريخها وبراميلها وقنابلها، وليس من باب المصادفة أن تنتصر قطعان الميليشيات الطائفية المدعومة من إيران على فلول النازحين واللاجئين الذين فروا من الموت إلى مصير مجهول يتربص بهم.

هل انتصر الأسد، وهل هذه حقيقة واقعة؟ المؤشرات على الأرض تتحدث عن انتصار مزعوم، وهو إن حدث فعلاً، فهو مثار سؤال هل يمكننا أن نعزو هذا الانتصار إلى إيران أم انتصار لروسيا، الحقيقة المرة تقول إن قوات قسد وحليفها التحالف الدولي استطاعوا توسيع احتلالاتهم عبر كامل الرقة، وقسم الجزيرة من دير الزور، والحقيقة تقول إن النظام وروسيا بطيرانهم استطاعوا قتل مزيد من المدنيين في ريف دمشق ودرعا وريف حمص وحماة وإدلب وحلب، والواقع يشي بأن سورية بكامل بقعتها الجغرافية تخضع لاحتلالات عديدة، والحقيقة تؤكد أن السوري الذي خرج لأجل حريته وكرامته هو المنتصر الوحيد في هذه المعارك، وإن طال عمر النظام برأسه الأرعن فإن نهايته باتت قريبة، وقريبة جداً.

رغم أن فاتورة الدم التي دفعها السوريون تفوق كل التوقعات، وتتجاوز كل الاحتمالات، فقد وصلت أعداد الشهداء إلى المليون، ومليون من الأيتام، ومئات الآلاف من المعتقلين والمغيبين، وملايين النازحين واللاجئين في بقاع الأرض الواسعة، وتدمير المدن والبلدات والقرى، رغم كل ذلك فإن تحقق الانتصار أمر حتمي على الظلم والاستبداد والقهر، وما زال هناك متسع من الأمل وسط غلو القتلة، وغياب المحاسبة، وتنكر الدول الصديقة وغير الصديقة لحقوق الشعب السوري في حياة حرة كريمة.

مدير التحرير

إعادة إعمار الرقة في مهب الريح..!

قسد تتوسع باتجاه دير الزور وتسيطر على منابع النفط

يوسف دعيس

تشير الأرقام التي استطاع مركز توثيق جريدة الحرمل الوصول إليها وتقصيها حول عدد الضحايا في مدينة الرقة من المدنيين، إثر انتهاء العمليات الحربية هناك بين قوات قسد وقوات داعش، وصل إلى حدود 1260 ضحية، منهم 843 قتلوا بطيران التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، و73 شهيداً بطيران روسي، و63 شهيداً بقناصة داعش وقسد، و19 شهيداً غرقاً في نهر الفرات خلال عمليات الفرار عبر النهر، و84 شخصاً قضوا بمدفعية قوات قسد وقوات التحالف، وتم إعدام 19 شخصاً على يد تنظيم داعش، فيما قُتل بالألغام نحو 153 شخصاً، بينما ما يزال مصير الآلاف من أهل الرقة مجهولاً، منهم من قضى بسجون داعش أو تحت أنقاض الركام الناجم عن قصف الطيران بأنواعه.

المعلومات المتوفرة لدينا أن قوات قسد توصلت لإنهاء المعركة باتفاق مع قوات داعش، يفضي إلى مغادرة الدواعش وأسرهم من الرقة باتجاه مدينة دير الزور وريفها الشرقي، وأنها استخدمت بعمليات النقل شاحنات وحافلات نقلت الدواعش وأسرهم وأسلحتهم وذخائرهم عبر طرق آمنة، وتمت حمايتها بطيران التحالف وبمرافقة سيارات ومدرعات تابعة لقوات قسد، وتقدر أعداد الدواعش الذين تم ترحيلهم وأسرهم بنحو 4000 شخص، فيما تؤكد المعلومات التي استطعنا الوصول إليها أن عمليات النقل والترحيل تمت بسرية تامة، حيث تم استبعاد المراسلين الحربيين ومراسلي الصحف ووكالات الأنباء المختلفة عن كامل حدود المدينة وأطرافها، ومنعهم تجاوز النقاط التي تمر فيها قوافل الدواعش.

قوات قسد استطاعت بعد الانتهاء من معركة الرقة من التقدم باتجاه محافظة دير الزور، ووصلت أولاً عبر الطريق الواصل من الشدادي إلى دير الزور، ثم اتجهت وصولاً إلى حقول كونيكو، شرق دير الزور، ثم تمددت باتجاه خشام والموحسن وذيبان وصولاً إلى حقل العمر، أكبر حقول النفط في دير الزور، وبذلك تكون قد سيطرت على كامل ريف دير الزور الشرقي وصولاً إلى أطراف البوكمال من جهة الجزيرة، ويقدر إنتاج حقل العمر من النفط الخام بنحو 30 ألف برميل يومياً، فيما تؤكد المعلومات أن عناصر داعش تمكنوا من استخراج وتصدير ما يقدر بنحو 10 آلاف برميل يومياً، وبالمقارنة ما بين قدرات داعش والبيدا، أن الثانية تمتلك من القدرات والخبرة ما يكفي لتصدير كميات أكبر من النفط باتجاه مناطق النظام، خصوصاً أنها كانت تقوم سابقاً بتصدير نفط الحسكة عبر وسطاء محليين، برز منهم عضو مجلس الشعب عن مدينة حلب حسام قاطرجي، المقيم سابقاً في الرقة، ولديه خبرة وقدره تمكنه من السيطرة على هذه التجارة البينية، ما بين النظام وقوات الأمر الواقع في الرقة ودير الزور والحسكة.

قوات قسد تريد أن تكون شريكاً كامل الصلاحيات مع النظام السوري في عمليات تصدير النفط الخام، بدلاً عن داعش، الذي كان يمول دولته المزعومة من التجارة البينية مع النظام، النفط مقابل الغذاء ومقابل المال بالعملة الصعبة، وقسد تستطيع من خلال هذه العمليات المشبوهة توفير عائد مادي تمكنها من تمويل حملتها العسكرية، وصرف تعويض رواتب جنودها، وتعويض المتضررين وأسر الضحايا، وضخ مال باتجاه مشروع إعادة إعمار مناطق سيطرته، فيما

يسمى مناطق «روج آفا».

أما بالنسبة لقضية إعادة إعمار الرقة، فهي ليست بوارد هذه الأيام، وربما ستكتفي القوات المحررة، بتوفير الماء والكهرباء، وبعض الخدمات المتعلقة بالصحة والتعليم، والشواهد على الأرض تؤكد أن أهالي الرقة ما زالوا يمنون النفس بالعودة إلى بيوتهم المدمرة، ويواجهون بتعنت قوات قسد التي تمنعهم بشتى السبل من العودة إلى بيوتهم بحجة وجود ألغام ومتفجرات في البيوت والأزقة والشوارع، علماً أن مئات الضحايا ما زالوا تحت الأنقاض، ولم تباشر الأليات إلى حينه برفع الأنقاض ودفن الجثث المتفسخة، أو أي نيّة لمعرفة أسماء هؤلاء الضحايا الذين قضوا بقصف طيران التحالف ومدفعيته.

بعد أن تم تدمير ما نسبته 100% بالنسبة للبنية التحتية في الرقة، وتدمير ما نسبته من 60ـ 80% من بيوت الرقة بين دمار جزئي ودمار كلي، وتعفيش ونهب بيوتها بالكامل لم يتبق فيها شيء يغري هذه القوات بالبقاء فيها، وما يؤكد ذلك ما قاله أحد قادة قسد لمتظاهري حي المشلب بأنهم يدركون أن أهل الرقة لا يريدونهم ولا يحبونهم، وأنهم سيفضون الشراكة مع أهلها قريباً، وصار الحديث علناً عن نيّة تسليم إدارة شؤونها المدمرة لأهل الرقة، وربما النظام، الذي نعتقد أن لا نيّة من جانبه لاستلامها، فهي لن تكون بيضة القبان لأقل طموحاته في المنطقة، والاشتغال على إعادة إعمارها من قبله سيضعه في حيص بيص، خصوصاً بعد نفاد خزينته من الأموال، فالرقة الآن من دون زراعة بعد تدمير مشروعات الري فيها، والتي تقدر مساحتها بأكثر من 112 ألف هكتار، فأقنيتها ومصارفها الزراعية بحاجة إلى إعادة تأهيل، وإعادة تشغيل محطات الضخ والرفع، التي تم نهب معظم محتوياتها الكهربائية والميكانيكية والإلكترونية، وهذا يتطلب ملايين الدولارات، ومئات الآليات الثقيلة وآلاف العمال والفنيين، الذي تعجز عن توفيره حكومة النظام، ويحتاج فيما نعتقد لجهود دولية، وشركات متخصصة في هذا المجال.

الحرمل - خاص

الأخبار أيضاً حملت لنا ما يشير إلى تعقيد قضية محافظة الرقة وتغيير بنيتها الديمغرافية، والشيء المؤكد أن هناك عمليات بيع تجري علناً للأراضي والبيوت، حتى إن كانت مدمرة، وبأسعار عالية نسبياً، والجهات التي تقوم على عملية الشراء وتشرف عليها، هي إما فردية أو جهات موجهة ذات أيديولوجية تدعو لتغيير بنية الرقة السكانية، وهي تملك من المال ما تستطيع به تنشيط عمليات البيع بطرق مدروسة، بما يخدم مصالحها وتعزيز توجهها الانفصالي.

الأنباء ما زالت تصل عن مزيد من الضحايا في الرقة من المدنيين، فمنهم من يموت بالألغام من مخلفات داعش في محيط الرقة، أو داخل بيوت وشوارع الرقة، وما زال هناك تنكر دولي عن مسألة إعادة إعمار الرقة، وبعث الحياة فيها من جديد، وما زالت المعاناة مستمرة للنازحين الذي تم وضعهم في مخيمات أشبه ما تكون بالمعتقلات العسكرية في مناطق عين عيسى، وريف الرقة الشرقي، وضفاف بحيرة سد الفرات، وفي المنطقة الحدودية مع محافظة الحسكة، وهي مشاهد تؤكد غياب منظم للمنظمات الإنسانية عن مساعدة أهل الرقة إلا من بعضها التي لا تستطيع تقديم إلا النزر اليسير من المساعدة، التي لا تغني ولا تسمن.

المفقودون ورحلة البحث عنهم

خبرنـي يـا طـير (الرقـة).. جسـر الكترونـي للمفقودين

عروة المهاوش

قـد تجـد القليـل مـن العائـلات السـورية، والرقيـة تحديـداً لم تفقـد أحـد أفـراد عائلتهـا نتيجـة هـذه الحـرب التـي شـاركت فيهـا أغلـب دول العـالم الطامعـة بشـبر مـن الأرض السـورية، والأشـد ألمـاً حـين تتفـرق العائلـة وتتـوزع في بقـاع الأرض، ينتظـر أحدهـم خـبراً عـن أخيـه، وتنتظـر الأم خـبراً عـن زوج وولـد وطفـل، تبتهـل بصلواتهـا بـأن يطمـئن اللـه قلبهـا فقـط أن يكونـوا أحيـاء.

نصـف مليـون إنسـان كان نصيبهـم التـشرد والضيـاع منـذ بـدء المعـارك للسـيطرة عـلى مدينـة الرقـة، منهـم مـن كتـب اللـه لـه النجـاة ومنهـم مـن فقـد ذووه أخبارهـم لأشـهر ليبقـى الأمـل مزروعـاً بقلـوب الآبـاء، والأمهـات بسـماع خـبرٍ سـارٍعنهم، لكـن انقطـاع أغلـب وسـائل التواصـل كان العائـق الأكـبر للوصـول إلى مـا يطمـئن القلـوب، كـثرت نـداءات الأمهـات وهـن يبحـثن عـن فلـذات كبدهـا المنقطعـة أخبارهـم منـذ أشـهر، تتـوارد الأنبـاء حينـاً عـن قتلهـم، وأنهـم مـا زالـوا تحـت الأنقـاض، وربمـا تأتيـك الأخبـار مـن هنـاك أن شـخصاً مـا قـد شـاهدهم في مخيـم مـا فيعـود الألم إلى قمتـه، وتتراجـع صحـة الأمهـات إلى أدناهـا فـلا لقمـة تطيـب لهـن ولا نـوم يقـترب مـن الأجفـان، في ظـل هـذه الفـوضى لم تتقـدم أيـاً مـن المنظمات الإنسـانية بالبحـث عـن المفقودين، وتوثيـق حالاتهـم مـما دعـا مجموعـة مـن نشـطاء المدينـة إلى تأسـيس مجموعـة «منصـة» عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي مهمتهـا البحـث عـن المفقودين، ومحاولـة الوصـول إلى أي خـبر عنهـم بالتعـاون مـع المسـؤولين والأعضـاء مـن جهـة، ومـع بعـض الأصدقـاء والمعـارف في الداخـل السـوري الموزعـين في المـدن والقـرى والبلـدات، والمخيـمات النظاميـة منهـا والعشـوائية، وبـكل الطـرق الإنسـانية المتاحـة.

أنشـأت هـذه المنصـة في الأول مـن أيلـول للعـام الحـالي ضمـن هـدفٍ موحـد، وهـو البحـث عـن المفقودين ومجهـولي المصـير بعيـداً عـن أي توجهـات سياسـية أو دينيـة أو عرقيـة، ترتبـط هـذه المجموعـة بصفحـة عامـة أيضـاً للمسـاعدة في وصـول خـبر وصـور المفقودين إلى أكـبر عـدد ممكـن مـن الأهـالي، وقـد تمكنـت «المنصـة» خـلال فـترة قصـيرة جـداً مـن اسـتقطاب أكـثر مـن 23 ألـف عضـوٍ فيها أغلبهـم مـن محافظـة الرقـة ممـن يعنيهـم أمـر أهاليهـم، وأقاربهـم وبعـض المئـات مـن الأصدقـاء مـن مـدن سـورية شـتى.

وبتصريـح خـاص لجريـدة الحرمـل قـال مهنـد الخابـور أحـد مؤسـسي المنصـة: وصـل عـدد المفقودين الذيـن توجـه أهاليهـم بنـداءات للبحـث عنهـم إلى أكـثر مـن ألـف مفقـود ومجهـول المـكان، ولا يعتـبر هـذا الرقـم دقيقـاً بالنسـبة للعـدد الـكلي والحقيقـي لمجهـولي المصـير، ومـرد ذلـك لفقـدان وسـائل التواصـل، وانقطاعهـا وإلى عـزوف بعـض الأهـالي عـن التصريـح حـول مفقوديهـم نتيجـة تواجدهـم ضمـن مناطـق تهـدد حياتهـم وأمنهـم، وقـد اسـتطاعت المنصـة خـلال فـترة قصـيرة مـن الوصـول إلى العديـد مـن العائـلات، والأفـراد ممـن كانـوا في عـداد المفقوديـن رغـم الصعوبـات التـي تعـترض عملنـا، مشـيراً إلى أن اغلـب تلـك الحـالات هـم مـن مفقـودي معركـة الرقـة التـي ابتـدأت في السـادس مـن شـهر حزيـران مـن العـام الجـاري.

وحـول الذيـن تقطعـت بهـم السـبل في الوصـول إلى مناطـق آمنـة يتواجـد فيهـا وسـيلة عـلى الأقـل للتواصـل، وعـن العائلات التي اسـتطاعت المنصـة الوصـول إليهـم قـال الخابـور: نتيجـة للبحـث وتواصلنـا مـع الأهـالي مـن جهـة، وبعـض التسريبـات مـن المخيـمات المتواجـدة في الشـمال السـوري، وكذلـك نتيجـة تواصلنـا مـع أهـالي قـرى الرقـة اسـتطعنا الاطمئنـان عـلى بعـض العائـلات والأفـراد الذيـن كانـوا في عـداد المفقوديـن، ومجهـولي المصـير لمـدة أشـهر، منهـم عائـلات الحميـدي والشـيخ، وعائلـة الزيـن المكونـة مـن 13 فـرداً، وعائلـة عويـرة مـن 16 فـرداً بالإضافـة إلى الكثـير مـن الأسـماء التـي يتعـذر علينـا ذكرهـا.

وتابـع قائـلاً: في المجمـل توصلنـا إلى معرفـة مـكان نحـو 250 شـخصاً مـن مجهـولي المصـير، معظمهـم مـن مفقـودي المعركـة الأخـيرة لمدينـة الرقـة.

وعـن فكـرة إنشـاء المنصـة قـال مؤسسـها

Abdelilah Alhussin

Abdul Fattah Al-Mabrouk

Abdulbaqy

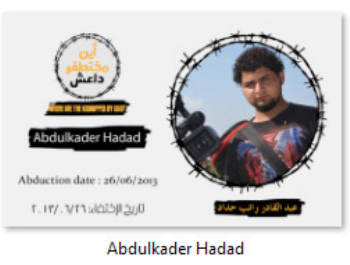

Abdulkader Hadad

Abdullah Abd Al-Issa

Abdulmajid Al-Issa

Abdulqader Alabdullah

Abdulwahab AlMulla

نهاد الطيار: خلال دراستي الجامعية في روسيا شاهدت برنامجاً تلفزيونياً، يحمل الاسم والتوجه ذاته، ويختص في البحث عن المفقودين نتيجة الشتات الروسي بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تولدت فكرة العمل بها بعدما رأيت الألم في وجوه الناس وحالات البحث غير المجدي معظم الأحيان من قبل الأهالي نتيجة انقطاع حيلتهم في التوصل نحو معلومة واحدة عن مصير مفقوديهم.

وحول السبل الناظمة لعمل المجموعة ومجموعة القوانين التي تتخذها المجموعة للعمل أضاف الطيار: تتخذ المجموعة بالتشاور مع مؤسسيها والمشرفين عليها مجموعة من النظم والقوانين، التي من شأنها حماية أعضاء المجموعة من عمليات النصب والاحتيال التي قد تخطر ببال ذوي النفوس الضعيفة مستغلاً بذلك لهفة الأهالي للوصول إلى أي خبر عن المفقودين، وذلك من خلال متابعة المنشورات والتدقيق في كل كلمة تذكر في تعليقات الأعضاء مع التذكير دوماً أن التواصل بين ذوي المفقود وأحد الأعضاء الذين لديهم أية معلومة يجب أن يكون تحت إشراف أحد مسؤولي المنصة.

لم يقتصر البحث عن المفقودين والمختطفين على هذه المنصة فقط فمنذ بدء الثورة السورية عام 2011 بدأت أعمال الخطف والتغييب في سجون النظام، ثم تلاها أعمال الخطف من قبل بعض العصابات التي تطالب بالفدية، ويبدأ مسلسل طويل ومرعب من أعمال الخطف وترويع الأهالي، لم يدخر ناشطو مدينة الرقة وأهلها جهداً في محاولتهم الوصول إلى الحقيقة التي يتكتم عليها من تولى عمليات اختطاف لرموز كبيرة لها أثرها في الثورة، وكلٍ منهم بحسب مجاله، فمن اختطاف الدكتور إسماعيل الحامض، والمحامي عبد الله الخليل، والناشط فراس الحاج صالح، وإبراهيم الغازي، والعشرات منهم، والذي لا يسعنا في هذا التقرير ذكرهم جميعاً، فنفذوا الاعتصامات أمام المقرات العسكرية في المدينة إبان تحريرها، وإصدار البيانات، وحملوا صور المختطفين والمطالبة بهم يومياً إلى محاولات الاعتصام طويلة المدى والتي لم تنجح في التوصل إلى الحقيقة.

الكثير من النداءات التي وجهها ناشطو مدينة الرقة للبحث عن المفقودين والمغيبين في سجون النظام وداعش، وأخيراً لقوات سورية الديمقراطية التي سيطرت على المدينة دون الكشف عن مصير المعتقلين الذين كانوا بسجون داعش الشهيرة أمنياً، كسجن سد الفرات، وسجن الملعب البلدي بالرقة الشهير بالنقطة 11 ذائع الصيت في التعذيب، وإخفاء أي معلومة عن كل كان في داخله، التسريب الوحيد الذي حصل عليه أهالي الرقة حين سيطرت قوات سورية الديمقراطية على مشفى الأطفال بالرقة، وقد ذكر حينها أنهم وجدوا بالتعاون مع القوات الأمريكية على 200 معتقل حالتهم الصحية سيئة تم نقلهم بحماية مشددة إلى مدينة عين العرب، ومنذ ذلك الوقت لم يسمع أحد أي خبر جديد.

أين مخطوفو داعش

تحت هذا الوسم أطلق مجموعة من الناشطين أيضاً حملة للكشف عن المختطفين لدى داعش مجهولي المصير من سنوات اعتقالهم، وخطفهم دون ورود أي أنباء عن مصيرهم وأماكن سجنهم، ولم تقتصر الحملة على الوسم فقط ووسائل التواصل الاجتماعي بل تعدتها لتصل للقنوات التلفزيونية، وبلغات متعددة، لتصل إلى الشعوب التي تتخذ بلدانهم مقرات لمنظمات عالمية تعنى بحقوق الإنسان كوسيلة للضغط على هذه الحكومات للكشف والبحث عن المفقودين.

أخيراً وليس آخر قام مجموعة من الناشطين والمؤسسات في مدينة أورفا التركية بوقفة تضامنية مع المعتقلين، والمغيبين قسراً حاملين صورهم على صدروهم مؤكدين المطالبة بهم بشكل مستمر حتى الوصول إلى الحقيقة التي غابت لسنوات عديدة. الاعتصامات مستمرة مع تكرار النداءات للجهات الدولية بالكشف عن مصير أبنائنا المختطفين حتى نصل إلى كامل الحقيقة ومحاسبة الجناة.

يوم التضامن مع المعتقلين والمخطوفين لدى داعش

الحرمل - خاص

نفذ ناشطون سوريون وقفة تضامنية مع المعتقلين والمخطوفين والمغيبين في سجون داعش، وذلك في ساحة المدفع في مدينة أورفا جنوب تركيا، وكان الملتقى المدني للرقة قد دعا إلى هذه الوقفة التضامنية، على أن يتم تنفيذها أسبوعياً ظهر كل يوم أحد، وتهدف إلى الكشف عن مصير هؤلاء المعتقلين، وحث سلطات الأمر الواقع التي تسيطر على محافظة الرقة لعرض الوقائع أمام العالم والمنظمات الدولية المعنية بالأسرى والمخطوفين، ووضعهم بنتائج التحقيقات وصور الوثائق والمعلومات التي حصلت عليها من الدواعش الأسرى أو الذين سلّموا أنفسهم لقوات قسد.

وتشير الأنباء الواردة من الرقة أن قوات قسد التي تمكنت من السيطرة على عموم محافظة الرقة، قد أوضحت أكثر من مرة عن عدم عثورها عن أي معتقلين أو مخطوفين داخل سجون داعش في مدينة الرقة وريفها، وأشهرها سجن الملعب البلدي في الرقة، الذي يطلق عليه النقطة 11، وسجن سد الفرات في مدينة الطبقة. وأوضح الصحفي عروة المهاوش في تصريح لموقع الرقة بوست أنه على الرغم من التواجد الخجول في هذه الوقفة، وقلة عدد المعتصمين، ولربما يكون السبب عزوف البعض لعدم وجود التراخيص اللازمة كان لا بد من هذه الوقفة للكشف عن مصير المغيبين قسراً في سجون داعش منذ أكثر من أربع سنوات، ولم يتم الكشف عن مصيرهم بعد سيطرة قوات قسد على المدينة. لذلك نطالب الجهات التي سيطرت على المدينة وسجونها المتمثلة بقوات قسد بالكشف عن مصيرهم.

فيما قال أمجد آل فخري: يأمل الملتقى المدني للرقة من الدعوة للوقفة التضامنية مع المختطفين والمعتقلين والمغيبين استعادة الدور المدني وقدرته على الفعل والتأثير في الرأي العام والحشد والمناصرة للقضايا الهامة التي لا بد من إيصالها إلى صناع القرار.

وأضاف: المختطفون والمعتقلون لدى داعش والنظام هم أخوتنا وأصدقاؤنا وأهلنا، ولا يمكن التغاضي عن قضيتهم وعدالتها، بل نحن من المطالبين بأن تكون قضيتهم في مقدمة ما يجب بحثه مع دعاة حرب داعش، خاصة وأن أحد أبرز الفاعلين في الملف الداعشي محمد الظاهر (أبومصعب) قد بات أسيراً ويمكن المطالبة بمحاكمته ومعرفة إفادته.

جداريات سجون داعش

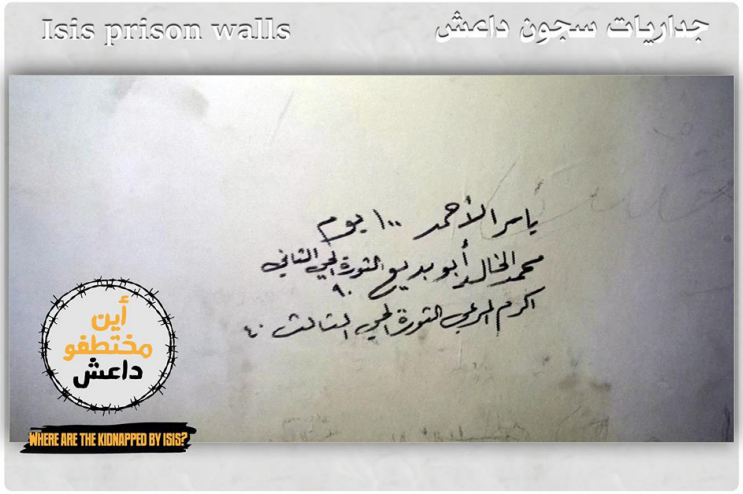

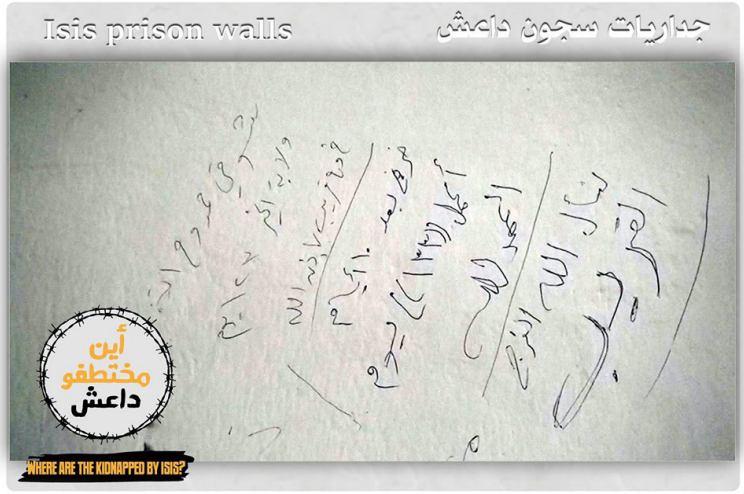

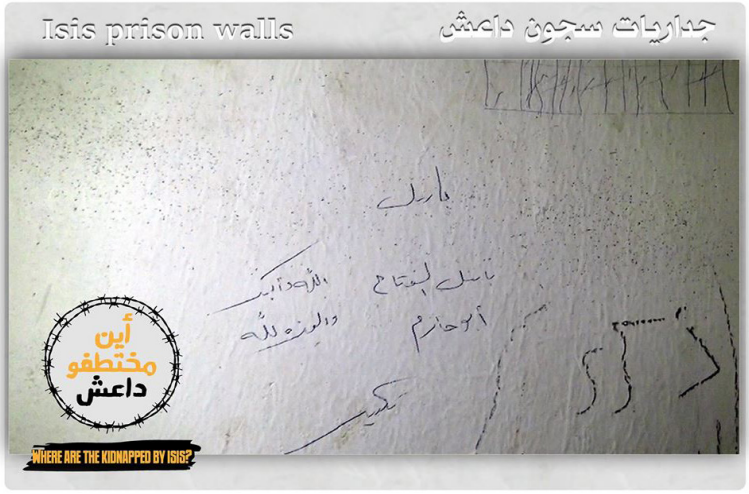

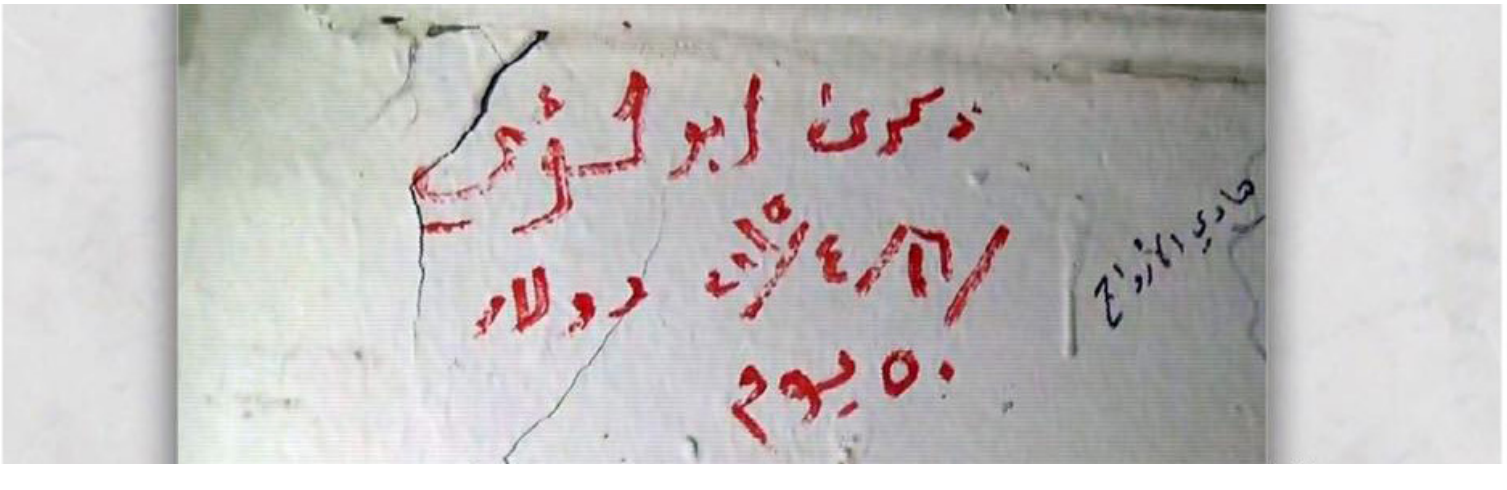

العودة إلى الانتداب..!

طارق عبد الغفور

إلى أين تتجه الأمور في سورية؟ تبدو الإجابة على هذا السؤال في خضم الأحداث التي يعصف موجهاً المتلاطم بسفينتها التي تسير بلا ربّان غير سهلة، إلاّ أن معرفة اللاعبين على أرضها وتشريح مواقفهم يمكن أن يُساعد في تلمّس معالم الإجابة، وتجب الإشارة مسبقاً إلى أننا في ما نريد أن نذهب إليه، إنّما نسبح في مياه موحلة.

أول اللاعبين على الأرض السورية هو النظام وركيزته الأمنية، ولا يُشكّل فرقاً مهماً القول إن النظام لا يملك من أمره شيئاً، وأن الخيوط التي يتحرك بها تُمسكها إيران أو روسيا.

النظام لم يستجب لثورة الشعب التي كانت سلميةً في بدايتها، والتي لم تكن تنادي بإسقاطه بل كانت تريد أن تتخلّص من قبضته الأمنية، وكان الشعار الأبرز آنذاك: «سورية بدها حرية» وقابل صدور الثوار العارية بالرصاص الحي، واستمر الثوار يقدمون الضحايا تحت ذلك الشعار إلى أن تمّت سرقة الثورة وحرفها عن مسارها السلمي من قبل فصائل انتحلت الصفة «الإسلامية»، وارتفع شعار إسقاط النظام فزادت شراسته وتحول الرصاص الحي إلى براميل متفجرة وصواريخ وأسلحة ثقيلة تستهدف البشر والحجر، وقد يُشكّل هنا فرقاً القول إن النظام هو الذي أخرج قادة تلك الفصائل وكوادرها من سجونه، وساهم في وضع مخططات عملها لأنّ ذلك يُشير إلى نيته المضمرة في تنفيذ ما كان يُرسم لسوريا، وهنا فإنني أعتقد بنظرية المؤامرة.

نحن إذاً أمام نظام لا يريد أن يستفيد مما حصل خلال السنوات السبع العجاف فيغيّر من سلوكه، بل على العكس كانت تصرفاته وتصريحاته وظهور مصطلحات مثل سوريا المفيدة والمجتمع المتجانس تعلن بصفاقة شديدة أنّه غير نادم على ما حدث وأنه ماضٍ في نهجه، وأنه يريد العودة بالبلاد إلى ما كانت عليه قبل الأحداث محكومة بقبضته الأمنية وكأن شيئاً لم يكن، ويجب أن نعترف هنا بأنه استطاع البقاء حتى اليوم، وبأن خصومه لم يستطيعوا زحزحته، وأنه اعتبر ذلك انتصاراً له بغضّ النظر عن العوامل الدولية والإقليمية والداخلية التي ساهمت في الإبقاء عليه حتى الآن، وليس هنا مجال الخوض فيها، فكيف نتخلّص منه؟

واللاعب الثاني هو المعارضة السياسية التي أثبتت فشلها الذريع وعجزها المشين عن القيام بالمهمة التي تنطعت لها وهي الخلاص من النظام المستبد والانتقال بسوريا إلى نظام المواطنة الذي يكفل الحرية والكرامة لأبنائه. هذه المعارضة كانت بأدائها المهترئ وتعاطيها البائس وانعدام قدرتها على السيطرة على الفصائل المسلحة التي تقاتل على الأرض وخلافات أعضائها البينية التي لم تكن خافية، تعطي المبرر للمجتمع الدولي الذي يقود مباحثات جنيف لكي لا يُقيم لها وزناً ويتعاطى معها باستخفاف يصل إلى درجة الإهانة، وتعطي النظام في الوقت نفسه الفرصة لكي يدّعي أمام المجتمع الدولي أنه ليست هنالك معارضة حقيقية له.

هذه المعارضة لم تستطع أن تقدم شيئاً يُذكر على الصعيد الإنساني للشعب الذي ادّعت أنها تمثله، ولا يبدو أنها بتركيبتها الحالية وطريقة عملها ستقدم شيئا، كما أنها ألحقت بقضيته ضرراً فادحاً على الصعيدين السياسي والإعلامي، وهي مع ذلك ما زالت تعتقد أنها هي المؤهلة لقيادة سوريا مستقبلاً، وقد دعوناها في مقال سابق على صفحات الحرمل الى أن تقوم بـ«ماسادا سورية»، ولكنها لم تفعل ولن تفعل، وتلك طامّة كبرى فكيف نتخلّص منها؟

واللاعب الثالث هو الفصائل المسلحة التي تقاتل على الأرض. الثابت أن هذه الفصائل ليس لها برنامج يجمعها بدليل كثرة عددها أولاً واقتتالها فيما بينها ثانياً، هذه الفصائل لم تعترف يوماً اعترافاً حقيقياً بجسم المعارضة السياسية، ولم تعترف له بسلطة عليها، وهذه الفصائل هي بثور الجدري على وجه الوطن، وهي كذلك لأن الوطن لن يتعافى منها، وهي لا تراه وطناً، بل تراه الكبيرة منها «مكاناً» تنفذ فيه أجندة غيرها وتراه الصغيرة منها «مكاناً» تجبي فيه موارد رزق كوادرها وهي في ما قامت وما زالت تقوم به تلحق ضرراً أكثر فداحة من ذلك الذي قامت به المعارضة السياسية، فكيف نتخلّص منها؟

واللاعب الرابع هو الشعب المكلوم. المؤكد أن هذا الشعب لا يريد النظام، وإلا لما ثار ضدّه، والمؤكد أنه في وادٍ والمعارضة التي تدعي تمثيله في وادٍ آخر ذلك أن شجون حياته اليومية ليست في أولوياتها، والمؤكد أن وشائج اللحمة بين مكوناته تعرضت لهزة شديدة بدليل ما ينادي به بعض المكوّن الكردي، وبدليل نأي مكونات أخرى عن الاهتمام بما قام لأجله، إن لم نقل عن المشاركة فيه، والأكثر خطورة أن مصطلح الطائفية الذي لم يعرفه منذ الاستقلال قد نُفخ في ناره بغضّ النظر عمّن نفخ. والمؤكّد أنه ليس سهلاً أن يتعافى المجتمع من تلك الهزّة وأنه بحاجة إلى فترة نقاهة، ولن يكون ذلك ممكناً إذا ما عاد النظام لقيادة البلد أو إذا ما سُلّمت قيادته إلى المعارضة المهترئة، فكيف نمنحه فترة النقاهة ليسهل تعافيه؟

ولم نتطرق إلى اللاعبين الإقليميين والدوليين الذين يشتركون في تقسيم كعكة مصالحهم ويعطي كلٌ منهم وهو لا يملك حصّة لكلٍ منهم وهو لا يستحق، فكيف نتخلّص منهم؟

أعتقد أن السبيل الأكثر أمناً لتعافي الشعب السوري مما يعانيه هو الطلب إلى الأمم المتحدة أن تقوم بدورها في رعاية الشعب السوري عن طريق وضع سوريا تحت حماية الأمم المتحدة أو رعايتها أو انتدابها، ولا تهم المسميات. بهذا يتم الخلاص من النظام ومن قبضته الأمنية، ويتم تأمين طاقم من خبراء الأمم المتحدة لتسيير أمور البلاد، ويتم الخلاص من بثور الجدري التي شوهت وجه الوطن، ويتم إعطاء الشعب والوطن فترة النقاهة اللازمة للتعافي من أزمته.

قد يقول معترضٌ إن الانتداب أو الحماية أسلوب استعماري قديم فأقول ولمَ لا نجعله جديداً مختلفاً باختلاف ظروف التطور الإنساني والتقني، ولمَ لا ننظر اليه كنظرتنا الى طلب العون من البنك الدولي؟ وقد يقول المعترض إن ذلك كان بسبب تأخر المجتمعات قديماً وحاجتها لمن يأخذ بيدها في طريق التقدم فأقول كلنا يُجمع على أكثر من نصف قرن من حكم الحزب والأسرة قد خلّف تراجعاً وتصحراً في الحياة السياسية والفكرية في البلاد فنحن إذاً مجتمعٌ متخلفٌ بإقرارنا، ونحتاج الى من يُمدّ لنا يد العون. ولندع جانباً نسبة الأميّة والجهل فيه. هذه وجهة نظر تستحق باعتقادي أن يُنظر فيها بعيداً عن الحساسيات. ويبقى السؤال: من يحقّ له أن يتقدم بطلب كهذا إلى الأمم المتحدة؟

الديمقراطية ومخالب السلطة

آرام كرابيت

الدولة هي الدولة، في جوهرها أداة قمع واخضاع واستلاب، تحتكر القوة والتنظيم عبر أذرع متعددة كالمؤسسات الفاعلة التي تقبض على المجتمع وتخضعه لمتطلباتها.

تتغير في الشكل، بيد أن جوهرها هو هو، أي أنها تنظم النوازع والرغبات والمصالح في ذاتها والمجتمع، وتضع غلة المكاسب في حصالة النخب المالية والبنوك والشركات الكبرى.

استطاعت الدولة في البلدان الغربية عبر صيرورة طويلة، وصراعات مفتوحة بينها وبين نفسها، وبينها وبين المجتمع أن تهذب مخالب السلطة شكلانياً، بمعنى أن تخبئ هذه المخالب باقتدار، وتضعه في قفاز من حرير، وأن تقلب مطالب المجتمع السياسية، من التغيير السياسي الرئيسي إلى سياسة مطلبية شكلانية، لا تمس جوهر السلطة ومصالح النخبة المالية والسلطة.

أصبح واضحاً للجميع أن أقصى مطالب الناس في الدول الديمقراطية هو الحصول على العمل وشراء فيلا جميلة وسيارة فارهة. من أجل سلامها السياسي الداخلي استطاعت الدول الديمقراطية المركزية أن تفرغ المجتمع من المطالب في التغيير السياسي الرئيسي لتضعه تحت السياسي، أي في عب المجتمع المدني، لتتفرغ للتحكم في هذا العالم السياسي على مستوى العالم.

ومع هذا ما زالت الدولة الديمقراطية تعرف قانونياً بدولة المواطنة. بمعنى، أن الدولة تضع قوانينها وإرادتها فوق المجتمع وتبقى على مسافة منه، أي بعيدة عن ذات المجتمع وحيوات الناس ومشاعرهم وصراعاتهم الذاتوية، وتبقى الحقوق والواجبات عامة، كبناء فوقي، دون الدخول في البناء الذاتي للإنسان، وكأن لسان حالها يقول: هذا علفك يا كديش، تأكله صباحاً ومساءً، وأن عليك أن تسير وفق هذا الخط وأي انزياح عنه يحيلك إلى مصير مجهول. لا مكان للقفز عمّا خطته هذه الدولة لك، ولا إرادة أو حرية لك خارج هذا الغطاء القانوني.

من بعيد، تبدو الأمور صحيحة وصحية وراسخة، وعال العال، بيد أن الواقع يقول غير ذلك تمامًا. ما زالت القوانين الصادرة عن الدولة تشكل غربة عميقة في علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين. عملياً، تخلق الدولة، قوانينها حواجز ومسافات متباعدة، وآلية انفصالية، تفصل الناس عن بعضهم بحدود وحواجز عالية جداً، تهيمن عليهم، بل تسيطر عليهم دون إدراك المجتمع لقسوة القانون وتدجين حيوات الناس وتمزيق إرادتهم ورغباتهم. كأن لسان حالها يقول: أنت كانتون في وحدتك، كائن مقيد بما نمليه عليك. إن إرادتنا كدولة هي فوق إرادتك، وعليك أن تذوب في ذاتنا. أنت لا شيء دوننا، ولا شيء خارج قوانيننا. أنت لا مواطن خارج قوانيننا، كائن ممزق، غريب. وبالرغم من أن قوانيننا غربة، بيد أنك خارجها. أنت لا شيء. الديمقراطية ليست من مرتكزات الدولة، إنها دخيلة عليها، ثوب يتم خياطته على مقاس النخبة الحاكمة. ويمكن اللعب عليها وفيه وحولها وتغيير اتجاهها وخط سيرها كما فعل هتلر. إنها برقع أسود يغطي عيوب السلطة وممارساتها القذرة.

ومع هذا ينبغي القول إن الديمقراطية أفضل إنجاز سياسي على مدار التاريخ السياسي العالمي، وهي أقل قسوة من التسلط السياسي المباشر، كأن يعتقل الإنسان لرأيه أو لمجرد التفكير أو محاسبته لهفوة أو الدخول في ذاته الشخصية ومراقبة تفكيره وسلوكه الشخصي. هي رابط المؤسسات بالقانون، وخاصة السلطة التنفيذية.

لم تصل البشرية إلى بناء نظام مفهومي جديد يقود هذا العالم إلى احترام الإنسان والطبيعة والحيوان وبقية الكائنات، لأن جوهر الدولة يرتكز على دعائم القوة وتنفيذ إرادة النخبة.

إن السلام الاجتماعي الذي نراه في المجتمع هو مجرد سلام سياسي، أي لا سلام. إنه سلام مختلس يمكن أن يتمزق إرباً إربا، لهذا عليك الامتثال لإرادة الدولة الكلية القدرة. إنه سلام نخبوي، منحة من الدولة تستطيع أن تأخذها متى تشاء وفي الظروف التي تريدها. والمعطيات الحالية تشير إلى ذلك على صعيد العالم.

إن الخطر الذي يتعرض له المجتمع في هذا العالم أكثر من واضح. وهذا الأخير في حالة عجز كامل. ولا يملك الفكر ولا المفهوم ولا القدرة على تعبيد الطريق لبناء منظومة مفهومية وواقعية لبناء ذات خاصة به بغياب نخبه.

إن مفهوم الدولة الديمقراطية العلمانية هو أحد إفرازات النظام الرأسمالي، في مراكزه تحديداً، أوروبا والولايات المتحدة واستراليا وكندا ونيوزيلندا وإيسلندا. وما زال المجتمع يتلقى الفتات من هذه الدولة، النخبة.

صحيح أن الدولة مكون اجتماعي نخبوي، تكوين عمودي، هرمي وعالي التنسيق وعلى المجتمع كمكون أفقي أن يخضع لنا.

لا يمكن تصور الحياة الحالية القائمة على التراتبية الشديدة دون وجود سلطة. إنها اساس الدولة ومتكئها.

برأيي أن السيطرة على مخالب السلطة تطور كبير، بيد أن السؤال: كيف استطاع الغرب أن ينظم علاقة الدولة بالسلطة، وإخضاع الأخيرة لشروط الأولى، التي اعتبرها مكسباً كبيراً، وكبيراً جداً لإدارة الاقتصاد والسياسة بأقل كلفة على كل الصعد، وأعطت أصحاب النفوذ المالي والسياسي القدرة على ترتيب مصالحهم وأولوياتهم. وأيضاً تحويل السلطة إلى مؤسسات يعتبر إنجازاً وتطوراً كبيراً.

مع الأسف الشديد، لم يتطرق الفكر العربي والإسلامي لقضية الدولة وعلاقتها بالسلطة، وكيف يمكن تقليم أظافر هذه الأخيرة لمصلحة الدولة، وأصحاب النفوذ.

الرقة والحلول الوسط..!

أحمد العجيلي

منذ بداية تشكل وعينا وإدراكنا لما حولنا، عرفت أنا وأبناء جيلي أننا نقطن منطقةً وسطى. علماً أنها لا تنتمي إلى خارطة عبود حمدان في نشرته الجوية، حيث يشير بعصاه إلى حمص وما حولها على أنها المنطقة الوسطى في سورية؛ إلا أننا فعلياً كنا نعيش داخل هذه المنطقة.

أدرك أبناء الرقة مبكراً اختلافهم عن الإخوان المسلمين ومشروعهم المعادي للنظام، ومحاولاتهم الانقلاب على نظام الحكم القائم؛ كما أنهم في الوقت ذاته لم يكونوا من أتباع النظام القائم وموالية المفضلين لديه، والمغمورين بعطاياه في الحزب والجيش وأجهزة الأمن، ولا حتى في مجال شرطة المرور؛ إذ إنه نادراً ما تجد رقيّاً متطوعاً في الجيش السوري، وأقل منه ندرةً أن تجد ضباطاً في فروع الأمن أو حتى شرطياً ينظم المرور.

فقد خصّ النظام مواليه بالمراتب العليا في الدولة، من وزراء وأعضاء متنفذين في الحزب، وضباط في أجهزة الأمن المختلفة، وبالتالي كان أهل الرقة جميعهم يشعرون بأن لا سند لهم داخل أجهزة النظام، يذود عن مصالحهم وينافح عنهم. حيث كانت سياسة النظام تقوم على المحسوبيات الخاضعة بشكل أو بآخر إلى المناطقية والطائفية إلى حدّ كبير، ولكن بشكل مختلف وضمن إطار أهداف حزبه المتمثلة في الوحدة والحرية والاشتراكية. من هنا أدركنا أننا نعيش في المنطقة الوسطى بين النظام ومعارضيه، علماً أنه يوجد في الرقة كثير من المعارضين للنظام بمختلف أشكالهم الإسلاميين والعلمانيين والقوميين، وفي مقابلهم أيضاً ترى الكثير من المؤيدين له ولسياساته.

إلا أنّ الطابع الغالب على أهل الرقة هو ميلهم إلى حياة الدعة والبساطة وابتعادهم عن كل ما يمكنه أن يعكّر صفو عيشهم وهناءتهم. من هنا صارت تتكرر مراراً تلك المقولة التي وسمت الرقة وطبيعة الحياة فيها: (الي يدخلها يبكي، والي يطلع منها يبكي). في إشارة إلى حالة المسؤولين من محافظين وضباط الأمن والجيش ممن يأتي فرزهم إلى الرقة، حيث يتبادر إلى ذهنهم أنها منطقة صحراوية لا زرع فيها ولا ماء ولا حياة، وأنّ من أرسله ليخدم فيها إنما أرسله عقاباً له على خطأ ارتكبه أو ما شابه ذلك، إلا أنّ الأمر ينقلب حين خروج هؤلاء المسؤولين من الرقة، فتراهم يبكون أيضاً مثلما دخلوها، ولكن هذه المرة يبكون ألماً وحزناً على ما قد تركوه وخلفوه وراءهم في هذه المدينة الساحرة.

يذكر أهل الرقة جيداً ذاك المحافظ الذي خرج وتتبعه اثنتا عشرة سيارة محملة بحقائب امتلأت نقوداً جمعها من جيوب أهل الرقة، ناهيك عن الهدايا من ذهب وتحف تم جنيها من عرق وتعب أهل هذه المدينة، وقد رآه الأهالي وهو يذرف الدموع مرتحلاً بظعنه بعيداً عن ديارهم، إلا أنّ كثيراً منهم كان يدرك جيداً حقيقة تلك الدموع، التي لم ولن تكون على شيء سوى على فقدانهم الرقة بما تمثله من ساقية جارية لا تروي طمعهم الذي جعلهم يبكون في رحلتهم الأولى للرقة.

هذا الإهمال المتعمّد من النظام في ذلك الوقت، ومشاركة باقي المحافظات في هذا التهميش الذي اصطنعه النظام، جعل أهل الرقة يسعون وبشكل حثيث لإظهار مدينتهم، وجعلها في مرتبة لا تقلّ عن شقيقاتها الأخريات؛ فمع انطلاقة الثورة السورية، اندفع شبابنا بكل طاقاتهم، عسى أن تكون الرقة كمثيلاتها في التمرد على نظام القمع والدكتاتورية، فكانت فعلاً أول مدينة محررة تماماً من سلطة النظام، ومع بداية ربيع عام 2013 بدأت تتشكل ملامح جديدة للرقة، لكنها وبكل أسف لم تختلف عن ملامحها السابقة.

فمن كان يأتي باكياً إلى الرقة يرتدي بزته العسكرية المزركشة بالنياشين والأوسمة، خلع تلك البدلة وأطال لحيته وقصر ثوبه، وامتشق سلاحه مسرعاً كي يحظى بنصيبٍ من الغنائم خشية أن يسبقه إليها غيره. فدخلت الفصائل المسلحة وراحت تنادي بالدعوة الإسلامية ومشروعها الأممي، بشكل مشابه لما كان ينادي به أبواق النظام عن أهداف حزبه العظيم. فالكل سرق تعب هؤلاء المدنيين، والجميع يعلم من أفرغ البنوك من محتوياتها، أهل الرقة جميعهم يعلمون كيف استوطنت داعش وانتشرت كانتشار السرطان في خلايا الجسد، تنهشه وتنخر عظامه، ثم ها هي تترك أهل الرقة لمصيرهم داخل المنطقة الوسطى.

مهندس يتفقد مبانيه وسط الدمار

إبراهيم العلوش

كلما شاهدت فيديو من الرقة، أحاول إعادة الصور والحارات والمباني، إلى هيئتها الأولى التي عرفتها فيها قبل أن تنهار، ربما لمحاولة فهم المكان وإعادة التعرف عليه، بعدما كان مألوفاً إلى حد الامتزاج بالنفس. أتحرك مع حامل كاميرا التصوير، وأغوص مع نظرات الكاميرا في حطام المباني، وأعيد رفع الأنقاض لتعود عمارات زاخرة بالحياة، وبالذكريات، وبالأمل، الذي يجعل أهل العمارة يفكرون بمستقبل أولادهم وبماذا سيدرسون، وربما متى سيتزوجون، وأين سيسكنون، وهل البناء ما يزال فيه مكاناً للسكنى لابن، أو لابنة تبدأ حياتها بالقرب من أهلها، ونصائح أمها.. ولكن كل ذلك تحطمه الصور، واللحظات التي تلتقطها الكاميرا وهي تعرض الخراب والدمار.

قد يبدو حامل الكاميرا لامباليا بالمباني التي يصورها، أو متشفياً بالخراب، ولكن ليس لدينا الوقت لشتمه، إننا نبحث عن المباني التي في رؤوسنا، وكيف كانت عندما تركناها، ونحاول أن نجعل ذاكرتنا تغير فهمها الراسخ للمكان، بعد كل هذا الخراب الذي يجبرها على إعادة تذكر الأماكن، والعمارات، بصورها الجديدة التي ينقلها صاحب الموبايل الذي كان ينقل عبر نفس الموبايل إحداثيات البيوت من أجل أن تستهدفها الطائرات، وتحيلها خراباً وركاماً، بعدما كانت عوالماً للعيش، وللحب، وللأمل.

عندما تأتي إلى الورشة في اليوم الأول، وتجد قطعة الأرض خالية، والنجار، والحداد وعمال الحفر، وصاحب البيت، ينتظرون بدء العمل بتأسيس العمارة، تفتح مخططاتك وتدير اتجاهاتها حتى يتمكن نجار البيتون من دق أول مسمار، وهو يسوّر المكان بتخشيبة المحاور، وحدود الورشة التي تبدأ مسيرتها من التراب، والبحص، والمخططات، وصياح العمال، وتأفف صاحب البيت، وغطرسة موظفي البلدية، لتقلع معلنة وجودها على ناصية الشارع، وتقف أعمدتها معلنة ترحيبها بالسكان القادمين إليها بعد أشهر، أو بعد أكثر من ذلك، وفقا لتقلبات البيع والشراء، والتمويل، والتحايل، والمماطلات التي لا بد لها من أن تنتهي أخيراً إلى دفء المنزل الجديد، وربما إلى أصوات نهاية حفل زفاف ينتهي إلى وصول العريس والعروس إلى شقتهما الجديدة، التي تبدأ معهم رحلة الحياة، والحب، ونسج الذكريات، إذ تقتسم الجدران، والغرف، الحياة مع الزوجين الجديدين عبر مرور الزمن، وولادة الأطفال، وشخوطتهم على الجدران، التي كانت بيضاء وصامتة، وتحولت إلى جدران ملونة بأقلام التلوين، وبآثار اصطدام الكرات، والألعاب، عليها وتحولت إلى عاكس لأصوات بكاء الأطفال وضحكهم، ومرمى لاصطدامهم بها أثناء اللعب.

الآن وقد تحولت تلك الجدران إلى مرمى للقنابل، والصواريخ، واندلقت إلى الشارع المجاور بحطامها الملون بأقلام التلوين الشمعية، أو بآثار الكرة التي كان يلعب بها الأطفال قبل رحيلهم إلى المخيمات، أو إلى المنافي، أو قبل سقوطهم شهداء تحت القصف الذي أعطى إحداثياته مرتزق يتسلى بالدمار ويلعب دور القواد للخراب بكل وضاعة.

الآن وقد تحول الركام إلى بحر يُغرق الشوارع، والحدائق، وتغوص فيه الجثث، والذكريات، ويختطف ذاكرتنا ويجبرها على تغيير أقوالها عن المكان، ليتحول من عمارة تعج بالحياة في صور الذاكرة، إلى كومة من الخراب تنقله صور موبايل قواد الإحداثيات، ومهماز الخراب والتدمير.

أبحث في ملفات الكمبيوتر التي اصطحبتها معي عن صور، ومخططات بعض المباني التي عايشتها منذ أن كانت ورشة على الأرض، حتى صارت مبانٍ عالية، تعج بالناس وبالحياة، وبالفرح، وبالخصومات، وبالقلق، وبالأمل، أجد المخططات جامدة ومحايدة، وبلا تعابير خاصة بالمكان، الذي حوّره سكانه وغيّروا ملامحه، رغم أنف دراساتنا، ومخططاتنا، وملأوه بحضورهم المتنوع الأشكال، والألوان، والمختلف عما تصورناه على الورق، لم تعد المباني سجينة ما خططناه لها، ولم تعد المباني أخيراً، واقفة كما تركناها وكما تركها أهلها.. انقادت إليها الصواريخ والقنابل وتحولت إلى ركام.

سيل هائل من إرهابيي الفتاوي السوداء، ومن الصواريخ، والطائرات، تحالف على دمار الرقة، وحول معالمها المختزنة في ثنايا ذاكرتنا إلى بحر كبير، وواسع من الخراب... خراب يقبع تحته أحبتنا الذين كانوا أكثر إخلاصاً للمكان منا، وظلوا حتى اللحظات الأخيرة يحرسون المكان، ويصونون صوره التي ملأت ذاكرتنا.. صرخوا كثيراً تحت الركام ولم يسعفهم أحد.. صرخوا ولم نسعفهم نحن أيضاً، لقد شتتنا المخيمات والمهاجر، وأصمّت آذاننا عن توسلاتهم، وعن صراخهم الأخير، قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة تحت الركام. الرحمة لشهداء الرقة، الرحمة لمباني الرقة التي ضمت أهلها بحنان وبدفء، قبل أن تجبرها الصواريخ والقنابل على التخلي عن حماية سكانها، ولم تغدر بهم حتى اللحظة الأخيرة قبل أن يعصف بها الانفجار.. حتى اللحظة الأخيرة قبل أن تتطاير وتتحول إلى ركام.

مراجعات إسلامية؟

أحمد الرمح

التجديد هو جسر يربط المسلم والمجتمع الإسلامي المعاصر بالفكر والقيم الحضارية المعاصرة؛ ليكون الفكر الإسلامي بما احتوى من قيم وثقافة وحضارة عظيمة قادراً على البقاء والاستمرار في مواجهة التطورات والتحديات التي يفرزها الواقع.

أما الإصلاح الذي نريده حتى نحقق خطوتنا الحضارية الأولى؛ يشبه كثيراً الصناعة التحويلية لفكر وسلوك الأمة من خلال نقله من الجمود إلى الحركة، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الهامشيّة إلى الفاعلية، فهو يعتمد أساساً على قاعدة هي (الوحي) نقرؤها جيداً، ونعمل بها فكراً وسلوكاً؛ ثم ننطلق منها ولكن من خلال قراءة الواقع قراءة علمية عملية؛ ليحدث تآلف حقيقي بين النص والواقع.

إن الإصلاح الذي نحن بصدد عرضه يعتمد القرآن مصدراً والتقدم العلمي والمعرفي منهجاً، لتتولد منه نظرية معرفية تحرك العقل الراكد، فينتج إبداعاً في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلاقة مع الآخر؛ وأسلوباً علمياً عقلياً في كيفية التعامل مع القرآن والسنة.

هذا يعني أن التجديد والإصلاح الذي ندعو إليه في مجال فهم الإسلام؛ يجب أن ينتج حركة إصلاح ونهضة حضارية في كل مجالات الحياة، في الاقتصاد كما في الدين، في الاجتماع كما في السياسة، في فقه المقاومة كما في فقه التعاملات الدولية، في الحرية كما في الأخلاق. في التكنولوجيا كما في الإعلام.

وقد ضاعت في زحمة تخبطنا من أذهاننا الثقافةُ القرآنية التي شُرِفنا بحملها فكرياً، لنتحرك بها سلوكياً، فأدى ذلك إلى ابتعادنا عن الرشد؛ وانتقالنا من مرحلة الشهود الحضاري، إلى المرحلة الغثائية التي يطفو على سطحها العبثية الفكرية واللا فاعلية، فيفقد المجتمعُ البوصلةَ التي توجهه إلى الهدف الحقيقي، ويبدأ بالتخبط الفكري ولا يجيد التعامل مع الوسائل المساعدة، حتى يصل إلى مرحلة الوهن، لتغدو الأمة لقمة سهلة لدى الطامعين.

وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك إصلاح ولا تجديد إلا إذا سمحنا لأنفسنا بالنقد البنَّاء، لأن النقد هو الذي يضع اللبنة الأولى في التأسيس للإصلاح والتجديد الذي يدفع بالمجتمع المسلم نحو الخطوة الأولى في سلم الحضارة العالمي. وبما أن رسولنا أكد أن المجتمع الذي لا يُجدد؛ لا خير فيه من خلال قوله: (لا خير فيمن لا يضيف).

فعلينا أن نعرف لماذا توقفنا عن الإبداع، لنبحث في الأسباب، ونتابع العمل. لنضيف ونجدد؟.

التجديد المنشود للحركة الإصلاحية، يطالب المؤسسة الدينية البحث في قضيتين أساسيتين؛ يجب العمل على تحقيقهما هما الحرية والعدالة لجميع أبناء المجتمع؛ مهما كان انتماؤهم الإيديولوجي، فالحرية والعدل هما وراء كل ثورة قامت على مستبد أو مستعمر. ولو استعرضنا تاريخياً كل دعوة للإصلاح أو كل ثورة قامت لتبين لنا أنها إما أن تريد عدلاً أو تسعى نحو حرية. كذلك كانت دعوة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. فقد كانوا يطلبون من المخالف لهم شيئاً واحداً لطالما ردده الرسول الكريم، ألا وهو الحرية في طرح أفكار الإصلاح حيث كان الرسول الكريم يقول لمستكبري قريش: (خلوا بيني وبين الناس).

كما يجب علينا قبل التجديد والإصلاح، أن نعرف أين الخلل فيما سبق، ولا بد من إجراء مراجعات لذلك الخلل، ولكون الإسلام أول منهج علمي دعا إلى النقد، واعتبره عبادة يتقرب بها المؤمن لربه من خلال مصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي اعتبره الإسلام عموداً من أعمدته حتى لا يبقى الضال على ضلاله، والمنحرف على انحرافه، ويجب بناءً على الدعوة القرآنية ـ أن يقوم المجتمع كله بتلك المهمة كلٌ حسب استطاعته لقوله تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). (التوبة: 71)

إن المراجعات هي الخطوة الأولى في طريق التجديد والإصلاح الشاقين، فمن خلالها نستطيع أن نضع يدنا على الداء لنصف الدواء، ومن خلالها نعرف عللنا وأخطاءنا والأسباب التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه، إنها أشبه بعملية الاستغفار؛ التي يجب أن يمارسها المؤمن يومياً دون كلل أو ملل!؟.

لذلك نحن بحاجة ماسة لتغيير البنية الفكرية في التعامل مع المعلومة التي نتلقاها قادمة من التراث أو رجل الدين، فنحن نتعامل مع المعلومة على شكل مُسَلَّمة ثابتة على الرغم من كونها منتجاً بشرياً محضاً، وهذا يختلف مع المنهج القرآني، فالقرآن الكريم عندما قدم الإيمان بالله لم يفرضه مُسَلَّماً به؛ بل دعا إلى الاستدلال وإعمال العقل واستخدام المنهج العلمي في التوحيد الذي هو قضية القمة؛ حيث قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). (محمد: 19)

إن البنية الفكرية للعقل العربي هي نسخة مصورة لعصر التقليد، وهذا ما جعل العقل العربي ما بعد القرن الهجري الثالث يتكون على أساس تلقيني وتقليدي، وليس على أساس ابتكاري إبداعي يمحِّص المعلومة قبل الإيمان بها؟.

هذا التأسيس الخاطئ وصل إلى البنية الفكرية لأصحاب الشهادات العليا لدينا، فهم ليسوا مبدعين؛ بل مجموعة جمعت المعلومات لعلم معين دون أن يكون لها أي دور في تطويره أو الإبداع فيه، وهذا يعود إلى التربية الثقافية التي رُبينا عليها في تلقي العلم.

إن أهم ما نحتاج إليه اليوم؛ هو فتح المجال لجميع أبناء المجتمع؛ كي يعبروا عن آرائهم وأفكارهم، ضمن أصول وضوابط حرية الرأي، والإسلام لا يخاف الحقيقة، ولكن هناك من يخاف منها، لخوفه على معرفته الناقصة، وعلى مصالحه، وعلى مسلماته المملوءة بالأخطاء أن تهتز، ولا يستطيع الدفاع عنها؟؟.

إن النقد البناء يختلف عن جلد الذات، ويختلف عن مفهوم التشهير لأنه نقد يدعو للتغيير لما هو أصلح، ونقد من أجل التطور والتحضر والإبداع، جعلنا بحاجة إلى وقفة موضوعية مع موروثنا لنقد ما هو سلبي فيه، والتقدم ببحوث جادة؛ تقدم رؤاها وبرامجها للتقدم والنهوض. أما إذا بقينا صامتين وراضين بما نحن فيه ومباركين الماضي بسلبياته، ومقدسين الموروث بكل ما فيه، دون السماح بتمحيصه أو نقده، فإننا لن نتقدم ولن نتطور.

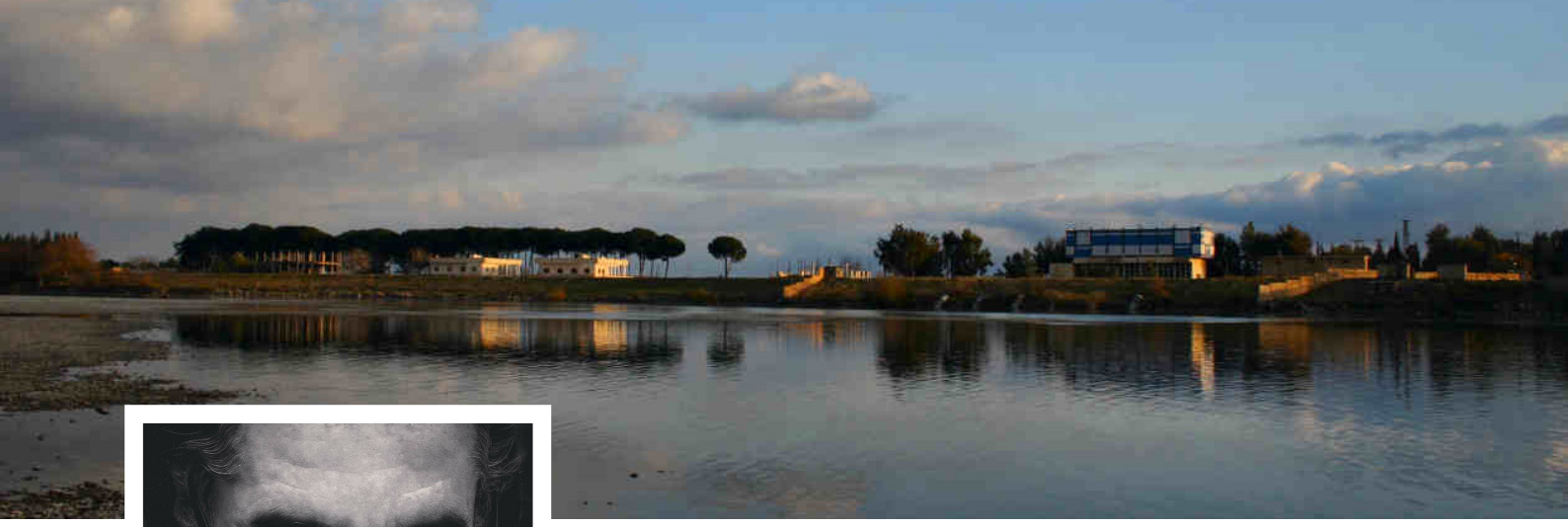

ذاكـرة المطـر والخراب

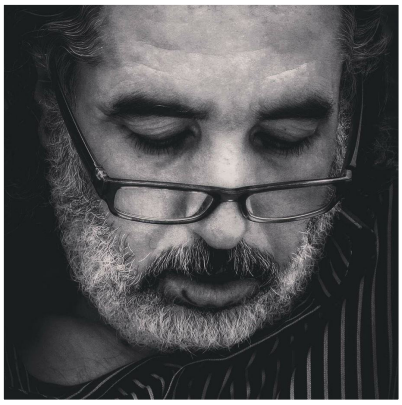

أحمد ظاهر

وعِـرةٌ هـي مسـالك ذاكـرة الغريـب، تتجـول فيهـا الـروح حافيـة متناسـيةً ملحهـا ومتاهاتهـا لا يقنعهـا وإن أصرَّ الأطبـاء أن انخفـاض نسـبة السـيروتونين (هورمـون السـعادة)، الـذي يعمـل كمضـاد طبيعـي للاكتئـاب، أو قلّـة كميـة الضـوء التـي يتعـرض لهـا الإنسـان ليصـاب بكآبـة الشـتاء، إلا أن مغتربـاً تضج ذاكرتـه بالمطـر، ومـا يحمـل مـن ذكريـات الأرض، ورائحـة النبـات والـتراب المبلـل واقتحامـه عمـق الـروح، لا يقنعـه العلـم بقـدر مـا يقتنـع بهسـيس الذكـرى، ووسوسـة الـروح، وهـي ترسـم لـه ملامـح أخـرى لهـذا الحـزن الزائـد الوتـيرة، والقـادم مـع أول الغيـوم الرماديـة التـي بـدأت تتجمـع في الأفـق كقطيـعٍ مـن النـوق (المجاهيـم).

الذكريـات البعيـدة والقفـز تحـت المطـر في البُرك الصغيـرة التـي تتشـكل على أطـراف الحـواري.. شـوارعنا القديمـة، والركـض في الأزقـة المنسـية، المزدحمـة بقصـص الحـب التـي ترتـع تحـت خيمـة المطـر، وحنجـرة عـلي الحجـار برخامـة ودفء الصـوت.. /لمـا الشـتا يـدق البيبـان.. لمـا تناديـني الذكريـات... لمـا المطـر يغسـل شـوارعنا القديمـة والحـارات/.

ذكريـات العشـق الأول والصـدى الفـيروزي القـادم مـن (جُـبْ) الذاكـرة... /رجعـت الشـتوية.. ضـل افتكـر فيـي/

يطـرق تشريـن البـاب فتفتـح الذكريـات بوابـات الفـردوس المفقـود عـلى مصاريعهـا... والاختنـاق بذكـرى حلـم بـريء في اللحظـة التـي يقـترب فيهـا الغيـم مـن جسـد الـتراب كعـرس إلهـي بـين مخلوقـات اللـه، في تلكـم اللحظـة التـي لا تكـون فيهـا الكلمـة محـض تأبـين للمعنـى ولا يكـون الشـعر فيهـا قـوس نـصرٍ يـؤرخ للحـب، ولا يكـون الإحسـاس الوجـودي اسـتدعاء لمـراثي الفقـدان.

هنـا فقـط الشـعور بالرغبـة أن تبـوح للحبيبـة _ التـي أصبحـت الآن المدينـة (الأنثـى) المسـتباحة الطهـر_ بـكل القصـص المطويـة كالمناديـل المخبـأة في جيـوب المعاطـف القديمـة، أو أن تنـشر أمامهـا تلـك القصاصـات التـي كانـت ترسـلها ابنـة الجـيران ذات شـتاء لتقـول لـك... (أحبـك.. مـزّق الورقـة).

وأنـت لـن ولم تمـزق شـيئاً وتكتفـي بسـماع فيـروز /صـار المطـر ع الشـبابيك.. واللـي ناطرينـو رح يـدق البـاب/

لا يـبرح ذلـك التصـور الطفـولي الـذي أوحـاه فيلـم كرتـوني يومـاً وهـو يصـور الغيـوم عليهـا ملائكـة صغـار يحملـون شـوكة (بوسـيدون) الثلاثيـة الشـعب، وهـم يطعنـون الغيـم بهـا ليهطـل المطـر كلـما وصـل إلى أرضٍ قاحلـةٍ أو قـومٍ طيبـين أو عشـاق يمشـون تحـت المطـر، أولئـك الملائكـة أقنعـوك يومـاً أنهـم حـرّاس الغيـم... وفي سـنين لاحقـة وذات مطـر وفي شـارع لا يحتـوي الآن إلا عـلى أنقـاض تشـهد عـلى التحريـر الجديـد سـار عاشـقان تحـت مطـر تشريـن فطعـن حـرّاس الغيـم غيمـة داكنـة فانبجـس منهـا المـاء الـذي تخللـت قطراتـه شـفاه التقـت في تلـك اللحظـة، لتسـيل عـلى أرض الشـارع قبـلات تشـبه المـاء.

كل عشّـاق تلـك المدينـة يسـألون الآن ذات سـؤال السـياب (صاحـب المطـر):

أتعلمين أي حزن يبعث المطر
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر
وكيف يشعر الوحيد بالضياع

أبـداً هـو ليـس نقـص (السـيروتونين) يـا صاحـب المطـر ولا كآبـة الشـتاء.. هـو جحيـم الذاكـرة الـذي ينبعـث مـع براكينهـا القادمـة مـع قطعـان الغيـوم، هـو المطـر اليتيـم الـذي يجـري الآن وحيـداً في شـوارع الرقـة دون عشـاق ولا مزاريب ولا أشـقياء يقفـزون في سـيول الشـوارع.. وهـم يـرددون لازمتهـم.. /يـا مطـر يـا عـاصي... طـوّل شـعر راسي/

لم تعـد الكآبـة وقفـاً عـلى الشـتاء يـا صاحـب المطـر
تثاءب المساء والغيوم ما تزال
تسحُّ ما تسحُّ من دموعها الثقال
كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأن أمه التي أفاق منذ عام
فلم يجدها
ثم حين لجّ في السؤال
قالوا له: بعد غدٍ تعود
لا بد أن تعود
وإن تهامس الرفاق أنها هناك
في جانب التل تنام نومة اللحودْ
....

هـو ذاك يـا صاحـب المطـر كلنـا في جهـات الضيـاع ذلـك الطفـل.. كلنـا نسـأل عـن أمنـا المدينـة متـى تعـود... مدينتنـا التـي صيّروهـا (إرم) أخـرى ولكـن ليـس لذنـب اقترفـه أهلهـا، وليـس اللـه مـن عاقبهـا... هـي فقـط لم تؤمـن بالأديـان الجديـدة ولا كتبهـا المقدسـة، فأنـزل عليهـا الفاتحـون سـوط خـراب وهلـل لموتهـا أنبيـاء الـشرق الجديـد.

عندما عثرتُ على أبي

مصطفى تاج الدين الموسى

لا أعتقد أن أمي قد أحبت أبي، معها حق.. لم يكن وفياً لها لأكثر من ثلاثين عاماً. خانها كثيراً مع عاهرات فقيرات، كان وفياً للحانات فقط.

رجل لديه ثروة من الشتائم، يجيد تصويب البصاق على وجه الرئيس في شاشة التلفاز، غادر قريته صغيراً، بعد أن نسي فيها روحه، ليعيش في عدة مدن لم يحبها ولم تحبه.

لم أشاهده كثيراً في طفولتي، تقاسمتْ حياته الحانات والسجن، كان يختفي لأيام، بعدها يجلبونه إلينا مخموراً مريضاً، ما إن يتعافى قليلاً، حتى يبصق على شاشة التلفاز خلال نشرة الأخبار، ثمّ يتشاجر مع أمي.. ويغادرنا فوراً إلى حانته البعيدة.

كنا ـ أنا وإخوتي ـ نتسلق الشباك ونلوح له، وأمي تبكي بصمت خلفنا، لم يكن ينتبه لتلويحات أيدينا الصغيرة، نداء الحانات كان يخطفه من كل شيء.

لا أحد في مدينتنا الصغيرة كان يزورنا، الناس تعرف أن قروياً بلكنة خشنة يعيش هنا ويشتم دائماً الرئيس، كانوا يتهامسون سراً: الله يحميه..

ذات مساء، وهو يشتم الرئيس ويتابع نشرة الأخبار، كعادتها، أسرعتْ أمي لتغلق شبابيكنا خوفاً، قالت له بأسى: تنتبه للفقراء في بيوت بعيدة، وتنتبه لسجناء في سجون بعيدة، ولا تنتبه لأطفالك هنا..

كانت تشير إلينا بساعدها، التفت وتأملنا، أعتقد.. كانت أول مرّة يشاهدنا، ومن الوارد جداً أنها المرّة الأخيرة.

لم أشاهده كثيراً في طفولتي، كنت أحياناً أهرب من المدرسة لأبحث عنه في شوارع السوق، بين ازدحام الناس، علّني أجده فأرجعه إلى البيت، وأنا أردد في سري (أريد أباً) مرّة سمعتُ أحدهم يشتم الرئيس بصوت عالٍ في السوق، صرختُ في سري سعيداً: إنه أبي..

وأسرعتُ إلى ذلك الدكان، لم يكن أبي، كان بائع خضار، جاءتْ الشرطة واعتقلته.

خرج أبي بعد سنتين من السجن، لم يرجع إلى البيت فوراً، رجع إلى حانته ليشرب مع رفاقه، ونحن على الشبابيك، ننتظره دون أن نشعل ضوء بيتنا، حتى لا ينتبه المارة في شارعنا لنا.

ـ لماذا لا تتزوج؟. تسألني كعادتها خالتي العجوز بغضب.

ـ لا أستطيع أن أصير أباً قبل أن أعثر على أبي.

ـ لكنه توفي منذ سنوات يا مجنون..

أحياناً، أهرب من عملي، الوغد أبو سليم.. مراقب الدوام، يضع إشارة على دفتر الموظفين جانب اسمي، اذهب إلى سوق المدينة، أمشي بصمت بين الناس، علّني أعثر على أبي وأرجعه للبيت.. أبي الذي توفي منذ سنوات. منذ طفولتي اكتشفتُ أن بصاق أبي حقيقي أكثر من السيد الرئيس، دائماً.. كان السيد الرئيس يختفي عن شاشة التلفاز، ليظل عليها بصاق أبي.

عادة، يرتدي الرجال ثياباً أنيقة ليحصلوا على إعجاب النساء و شيء من الحب، أبي كان مفرطاً في أناقته، لكن.. أعتقد أن أمي لم تحبه طوال ثلاثين عاماً، معها حق، لم يكن وفياً لأحد.

بعد حصولي على الشهادة الإعدادية، ذهبتُ إلى جامع في حارتنا، لم أعرف أن أصلي بشكل جيد، نظرتُ إلى الأعلى وهمستُ برجاء: أريد أن يرجع أبي، تعبتُ من البحث عنه.. كلّ أصدقائي عندهم آباء، إلا أنا!! لماذا؟.

ومن بعدها، لا أبي رجع إلى البيت ولا أنا رجعتُ إلى الجامع.

أمي أحبته لأشهر قليلة قبل وفاته، أحبته كما لم تحب أحداً، أحبته أكثر من حب ألف حانة له.. آنذاك، صار أنيقاً أكثر، قبل وفاته بأشهر قليلة، عندما ارتدى السرطان.

شاهدته تواً، طار قلبي من الفرح في هذا الشارع، إنه هو أبي، كما كان خلال طفولتي، حوله ترقص شتائمه الجميلة بلكنته القروية الخشنة، راقبته عن بعد، انتبه لوجودي، فلوح لي مبتسماً.

شاهدته بأم عيني، بين الناس وصراخهم العالي، شاهدته بعد ثوان قليلة من الرصاص الذي انهمر علينا وأصاب رأسي، في مظاهرة ضد الرئيس.

قهر..!

نجاة عبد الصمد

وعُدتُ من ريف حمص أزجر عيني المريضة بملح الدمع، أروّض قلبي علّه يعقل، لعلّ والدتك تقتنع أني غاضبٌ وحسب. غاضبٌ لأنهم منعوني من رؤية ابني.

.....

في صغرك، لم تطلب مني في العيد لعبة المسدس. ومرة رأيتك في الكرم مع رفاقك. وقفتُ أتفرّج عليكم تصطادون الدبور بالمصفاة كما تعلّمتم في المدرسة. اكتفيتَ بمراقبتهم، ولم تشاركهم بتثبيت الدبور الأسير على ورق الكرتون بدبوسٍ على رأسه، ودبّوسين على جناحيه.

ولم تكن من الأبناء العنيفين، ولا العنيدين. ولا العاصين قبل أن تلبس البدلة العسكرية.

قلتَ لي: لا يسمحون لنا بالمغادرة يا أبي. قلتُ: أنا أروح إلى ولدي. حملتُ إليك الخبز، والجوارب، والثياب الداخلية، وكنزةً، وبطانيةً، وملبّساً بالنعناع لك ولرفاقك، ومالاً لمصروفك كما يحمل الأهل لكل أبنائهم المجنّدين. ودخلتُ مهجعكَ، وبالكاد رأيتُ التماع نجمةٍ جديدة على كتفيك، وشممتُ، أوّلاً بأوّل، رجع القسوة الوليدة في صوتك.

طمأنتني عن حُسن أحوالك. أنك آمنٌ هنا في مهجعك، وأن السواتر والحواجز تحجبكم عن الإرهابيين، وأن معكم أسلحة تكفيكم إلى يوم الدين، وأنك ــ أنت الجندي الباسل ــ لا تذكر بالضبط كم قتلتَ من الإرهابيين، ربما ثلاثين، ربما أربعين... لم تعد تذكر! ثم يعلو صوتك فخوراً وأنت تخبرني أنّ الضابط الأعلى اختارك لتقود الرتل الأول في الهجوم، وأنّ مطاردة العصابات المسلحة لم تكن سهلةً لأنّ أفرادها يخبرون تضاريس المكان، ويشبهون أهلنا في الريف، ويتكلمون بلهجاتنا المألوفة، ويقاتلون بصبر المدافعين. وقاطعتُك: لعلّك على خطأٍ يا ولدي! ولم تقبل أن تسمعني، وغضبتَ، وأغضبتني. وصمَتنا على نيّتين. وتكوّرتُ على فراش الشوك في مهجعك. ظلّت مسامير كلامك تثقب أذني إلى أن لاحت أولى خيوط الفجر، وتركتك نائماً، وخرجت أرجو لو أنّني أهرق كلّ هذا الدمع في جنازتك الوطنية يا بنيّ، يا عاري. أو؛ لو أنهم منعوني حقاً من أن أراك، وأشهد منك ما يجعلني أرجو موتك قبل موتي...

خيانة..!

جنان الحسن

للمرة الأولى يخونني الحرف وأعجز عن ترجمة ألمي.. للمرة الأولى أعترف بأنني غدرت بأحدهم..!! نعم غدرت بأحدهم.. غدرت ببيتي حين تركته يواجه مصيره وحيداً.. دون أن أمد له يد المساعدة.. دون أن أساعده على الهرب من بطش الإجرام كما فعلت بنفسي وعائلتي..

أعترف بأنني بكيت وطويلاً جداً.. بعد أن استوعبت عيناي اللقطة الأولى له متداعياً على الأرض، نازفاً حتى الموت، ولم تفلح المنومات في انتزاعي من هذا الكابوس لأكثر من ساعة ونصف الساعة فقط..

قد يلومني البعض مبرراً أنتِ وعائلتك بخير.. احمدي الله.. أولادي أيضا يلومونني.. نعم.. أنا أفعل وأحمد الله أننا بخير.. لكنه هو.. لم يكن بخير..

آلمني جداً درجة تساقط هذا الألم على شكل دموع ملتهبة لسعت وجهي وقلبي وذكرياتي.. وثلاثين عاماً من الحلم والأمل والعمل والحزن والفرح.. دفنت تحت الأنقاض..

بيتي.. تلك الجدران التي تطل على شوارع ثلاثة، والرابعة أرض خلاء.. ما جعلني أطمئن روحي دوماً أنهم لن يتمركزوا فيه.. هم يحتاجون للأبنية المتلاصقة ليتنقلوا بينها بسهولة.. هنا هم مكشوفون للطيران.. لن يطول بهم البقاء..

هو الأمل.. كنت أمني نفسي به..

لم أدرك أنهم قرروا نهايته.. لا تتعجبوا أنني أتحدث عنه ككائن حي، يشعر ويحس، بنظري هو هكذا.. لطالما حمل ذهني عنه هذه الصورة..

بين جدرانه ويدي ألفة شديدة.. وعلاقة تشبه علاقة الأم بابنها، وعلاقة الأب بابنته، تحتفظ روحي بأصغر تفاصيله وجزئياته..

اليوم وأنا أراه متهاوية جدرانه تحت تأثير بطش ضربات الظلم.. يراودني الشعور بأنه تألم وحيداً.. معزولاً عن غيره..

أكاد أشعر بالذكريات وهي تستنجد بي..

أنا المهزومة.. الموشحة بالألم.. اللاهثة خلف المدن البعيدة.. المسافرة على متن خيباتي.. الحالمة بصباحات دافئة مرّت في ظله.. كنت عاجزة عن نجدته..

اليوم صباحاً قلت لأصغر أولادي، رفيق رحلة المنفى، والذي لامني يوماً أنني كنت في بداية كل صباح أهدم عش اليمامة من على الشرفة.. والذي وعدته.. أنني إن عدت يوماً سأبني لها عشاً جديداً بيديّ..

أخبرته اليوم أن اليمامة أسعد حظاً مني.. لأنها لم تملك ذكريات لها على تلك الشرفة.. وأن أكبر كوابيسها كان الصياد، وأن بلاد الله الواسعة مبسوطة الأرجاء أمامها، كي تبني عشاً جديداً لها.. فلا أشقاء يرفضونها بينهم، ولا أصدقاء يستقبلونها بشروطهم..

اليوم.. أبحث عمن يضعني على أعتاب ركامه.. أرغب أن أجمع ضحكات أولادي من هناك وهم يتجادلون ضاحكين يتقاسمون الشقق والأدوار، وصوت صغيري قبل أن يبلغ سن الدراسة وهو يصف لي القطط المولودة حديثاً في حديقة روضة الأطفال في قبوه .. قطة سوداء وبيضاء وأخرى بيضاء وسوداء، وصوت ضحكتي يعلو لوصفه الطفولي..

أرغب أن أؤدي آخر صلواتي، وأمسح آخر دمعة، وأدفن آخر ضحكة لي معه هناك..

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 69 YIL: 4 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa